

التخيم و الاصطيف التربوي:

خدمة عمومية من خدمات التربية والتكوين خارج الصفوف الدراسية

الأستاذ - عبد الله أبو أياد العلوي*

* المعهد الملكي لتكوين أطر الشباب والرياضة الرباط، المملكة المغربية.

ملخص

يشكل الزمن نسقا متميزا ومؤثرا في باقي الأنساق المكونة للمجال الحيوي للفرد الإنساني، فهو ثروة ثمينة لا تقبل الادخار، ويعتبر هدرها إساءة في حق الفرد والمجتمع من قبل كل فاعل مجتمعي، لا يحرص على استثمار الزمن في تأمين النمو المتوازن للفرد وتحقيق تمكّنه الحضاري بشكل متحدد. فهو نسق لا يمكن تجزيته أو تصنيفه بشكل غمطي، لان أمره يتصل بالفرد الإنسان ومتطلبات تطوره وسبل ارتقائه وتمكينه. وفي ظل أحوال سويسيو ثقافية - اقتصادية ومناخية غير مريحة، كثيرا ما تواجه تساؤلات عن المواقف والوسائل القادرة على ضمان حسن العناية بالنمو والتمكين لدى الإنسان عبر مختلف مراحل العمرية. في ظل أوضاع تتسم بحدّة التطور المادي والتقني السريع، الذي يفرض القراءة المتعمّقة لأنماط الإنتاج السائد والعمل على إعادة النظر في العديد من قيمنا. ذلك ما تعمل هذه الورقة على شرح بعض إشكالاته، مع محاولة الإجابة عليها.

الكلمات المفتاحية : التمكين الإنساني ، التكوين خارج الصف الدراسي ، المستقبل الفردي والجماعي، الفعل الايجابي المتحضر، المجال الحيوي للفرد الإنساني، الاقتدار المعرفي، الانتظارية.

متطلبات التمكين خارج الصفوف الدراسية

يفترض على كل قِيم على الشأن الإنساني علمياً أو أكاديمياً. التساؤل عن مصير الفرد الإنساني، وما يحتاج إليه من العناية اللازمة، وهي مهمة يتحملها القِيَمون على التربية والتكوين، كعمل إنساني يستثمر في المعارف والعلوم والتقنيات لتمكين الفرد الإنساني من مهارات الولوج إلى الحياة وتصنيعها والإسهام في قيادتها، وذلك من خلال تقوية مشاعر الأمن والاطمئنان والثقة، في التعامل مع الأفكار، والأحداث والأشخاص، والقدرة على التقبل والتحمل، رفع التحديات ومواجهة الصعوبات، وتطوير المدارك، وتفهم الفوارق وتقبل الاختلاف، وتأكيد الذات والحرص على الاستقلالية وتطويرها. وكذا الحرص على الانتماء المستمر للتفكير والإبداع والتخيل والإقدام على المبادرة، إلى جانب التفكير والإبداع والتخيل والإقدام على المبادرة، والرغبة المتجددة في التعلم. والمشاركة الإيجابية في تشييد المساحات الحيوية، لإقامة الحياة المشتركة على قواعد التواصل الفعال وقيم التعاون والإنصاف والعناية الإنسانية.

إننا أمام احتياجات يصعب على المرء العيش الفعال في غيابها أو نقصانها. وهي مسؤولية تتحملها المجتمعات في العالم المعاصر، وتكرسها في تعاقباتها العالمية، أو الدستورية الوطنية، التي تركز على الإنسان كأساس لكل حياة أمنة متحضرة، وتحرص على تفعيلها من خلال نظم تربوية وتأهيلية، تركز على التمكين (Empowerment) حسب التعبير الإنجليزي، أو (Autonomisation) حسب التعبير الفرنسي. ويعني توسيع وتقوية إمكانية الأفراد والجماعات للقيام بالتصرف المبني على الاختيارات الحرة إزاء الظروف الخاصة أو العامة بالتركيز على الثقة، والدعم العاطفي والاعتدال المعرفي والعلمي والتقني. وهي نظم لا تحاصر العناية بالإنسان في مرحلة عمرية معينة؛ بل تهتم بكل مراحل حياته مع الحرص على الإدراك الجيد لخصوصيات ومتطلبات كل مرحلة. وهذا ما يجعل الأجهزة العمومية التي تعنى بالتربية والتكوين في المجتمعات المتحضرة حريصة على مواكبة ومصاحبة حياة الإنسان الذي تستهدفه بمناهج وبرامج وموارد مالية، وقدرات بشرية ذات مؤهلات متعددة لا تنحصر في مرحلة عمرية معينة، لان تربية وتكوين الإنسان وتمكينه بشكل مستمر ومتطور ضرورة حياتية، لا يمكن للأفراد والجماعات والمجتمع الارتقاء في سلم التحضر من دونها. كما أن الوفاء بها لا يقتصر على الصفوف التعليمية داخل المدارس والجامعات أو مراكز التكوين المهني أو في مراكز العناية النفسية والاجتماعية أو مراكز الإرشاد الأسري؛ بل يمتد بدقة وعناية إلى كل الأنشطة التي تهتم بالإنسان خارج هذه المجالات، بما فيها الحضان الأسري داخل

البيوت العائلية وبدائلها، والمتمثلة في عطاء نوادي الطفولة والشباب ونوادي كبار السن، والملاعب الرياضية والفضاء الثقافي، وفضاء احتضان أنشطة التربية والتكوين، خارج الصفوف الدراسية والأحضان الأسرية، التي تستعمل هوامش ومرافق الأحياء السكنية والساحات والحدائق والملاعب من أجل الاستثمار في الزمن، من أجل تمكين الإنسان وصيانتته ضد الإهمال والتقصير في الوفاء باحتياجاته النمائية، وسجنه داخل ظلمات الانطواء والجمود واللوم على عدم القدرة والافتقار للمهارة، وحمايته ضد الخوف من الحاضر والمستقبل، والوقوع في التشدد والقسوة وعدم التسامح والامتنان للمزاج في التعامل مع الأفكار والأحداث والأشخاص، والتصلب في المواقف أو التبعية والخضوع والانتظارية. والحرمان من الحضور الفعال والتصرف المستقل. وتطبيع ممارسات التوبيخ والتهكم والكلام الجارح، واستعمال الغش والفردية والخداع في التنافس وعدم الاكتراث. وذلك بمناهج وبرامج تدرك الدوافع الشخصية للمرء وتنطلق منها في تدعيمه من أجل صياغة مشروعه الشخصي وحضوره المجتمعي المتحضر، بأبسط التكاليف وأيسر الأساليب. حيث يتم الإقبال عليها بتلقائية وشغف، لأنها لا تقول بتقييم قدرات وجهود المستهدف من خدماتها بل تحرص على تقييم أدائها من خلال مستوى الاقتدار والمهارات التي امتلكها ذلك المستهدف.

التخيم كخدمة إنسانية عمومية

هذه الخدمة الإنسانية العمومية التي لم تحصل على شرعيتها في أحضان المواثيق والنظم المؤطرة للتربية والتكوين في المغرب. بل في خدمات التخيم والاصطياف التربوي والعمل التطوعي السوسيو- ثقافي. والأنشطة الكشفية التي تشتغل من أجل التمكين الإنساني داخل الحياة اليومية للمجتمع، بغرض تلبية الاحتياجات النمائية للمرء بأساليب مفتوحة. قد يعتبرها البعض مجرد ترفيه عابر أو عمل ثانوي أو إلهائي. لأنه لا يدرك مدى أهميتها في إنماء شعور الفرد الإنساني بالثقة والإحساس بالأمن البدني. وتيسير نمائه بشكل متوازن على قواعد علمية لتأطير العناية به بعيدا عن كل انزعاج أو ضغط داخل فضاء فسيح يحلله من كل صنوف الضيق، وتوفر له الاستمتاع بحرية التأمل والتفكير والتعبير والعمل، بعيدا عن كل دواعي وعوامل التوتر والانقباض ووطأة المردودية، أو الجودة والإتقان وضيق الزمان المتناحر، وإجبارية الامتنال لطموح الآخر وليس لطموحاته. لان في هذا تدمير لإيقاع امتلاك الاقتدار والمهارات لكل فرد، خاصة، عندما تتضاءل فرص التعلم وتضيق إمكانيات التعبير عن الغضب والرفض والخوف. فعبء أنشطة التخيم التربوي الذي نعتبره حقا من حقوق الإنسان، وليس امتيازاً نستطيع تمكين حاجة الاطمئنان في التعامل

مع الآخرين. والقدرة على الاسترخاء البدني. وقبول التماس البدني وامتلاك مقومات التقبل والتحمل والتصدي الايجابي للضغط، عبر مناهج وبرامج يتم اختيارها بدقة علمية، لتقوية قدرات الفرد على الاستجابة الايجابية لمستجدات الحياة والتمثّل السليم للزمان، والتفكير بالواجب وتكوين المشروع الشخصي، وتطويره بقدرات تحرص على فهم وقبول معنى القواعد الإنسانية والامتثال الايجابي لها.

فإذا كانت أنشطة التربية والتكوين داخل الصفوف المدرسية تنشد تمكين مستهفيها من مهارات اكتساب المعارف النظرية والتقنية، عبر أنشطة القراءة والكتابة والتعبير والتطبيقات المخبرية... الخ. ان أنشطة التربية والتكوين خارج هذه الصفوف، كثيرا ما تسعى إلى تأمين الثبات لدى الفرد من خلال استعمال الزمن بانتظام، وتمكينه من تكوين تمثّلات للزمان والمكان، تتطور بتوازن مع تطوره الشخصي، وكذا تدعيم قيم الصدق والثبات في تلبية الاحتياجات الفسيولوجية والبيو- عصبية واحتياجاته النفسية، والسوسيو- ثقافية . وتحصينه ضد الأخطار، والسقوط في الصعوبات المزاجية، وذلك بتوظيف الأنشطة في تمكينه من اكتشاف مهاراته البدنية والذهنية وما ينتاجها من صعوبات، مما ييسر لديه سبل التفكير والإبداع وتوسيع فرص التواصل الفعال والقدرة على التعبير عن الأذواق والأفكار والعواطف والاحتياجات والتحلي بالاحترام، وتحمل المسؤولية والانجاز والتقييم الموضوعي للأداء الشخصي.

إنها أنشطة تؤهل الفرد لنسج علاقات ارتباط وشرائط إنسانية متحضرة، تتسم بتقبّل الاختلاف والاتسام بالواقعية والتحلي بلغة الاحترام، والتركيز على التمكين المعرفي والعلمي النوعي، وإنماء الجدارة والوعي بالفردية، بواسطة المميزات الجسدية والسمات الخاصة، والنزوع الايجابي نحو التحرر والاستقلالية على قاعدة الوعي المتنامي بالاحتياجات الشخصية والجماعية والمجتمعية، والعمل على إشباعها وفق قيم الإنصاف والحب والعناية والتفكير بالواجب.

وداخل مجالات التربية والتكوين خارج الصفوف المدرسية، يتيسر للفرد إشباع حاجاته بالانخراط في المجتمع وتنمية مشاعر عاطفة الانتماء للجماعة الإنسانية، حيث يبحث عن حضور الآخرين، ويستمتع بالارتياح في حضوره في أحضانهم. والتواصل معهم أفرادا وجماعات، ويتشبع بقيمهم الثقافية والاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم، وتحمل حماية أعرافهم وقوانينهم، ويجتهد من اجل الارتقاء العلمي باقتصادياتهم وأرصدتهم الحضارية. والإسهام في معالجة صعوباتهم. وذلك من خلال ما تنتجه هذه الفضاءات من فرص تنشيطية، ترمي إلى التمرين على الوعي بمجموع الموارد

والوسائل المتوفرة، التي ينبغي التركيز عليها في معالجة القضايا الفردية والجماعية والمجتمعية، والتمرن على صياغة المعالجات وابتكار الحلول، من خلال التفكير الفردي والجماعي وفق قيم التشارك، وكذا تقدير الفعالية بعد كل انجاز مهما كانت نتائجه.

وتتسم هذه النشاطات من جهة أخرى، بالحرص على تقوية شعور الفرد بالجدارة في اغلب محطات الحياة اليومية، من خلال التذكر الدائم بكل الانجازات الناجحة في الماضي على المستوى الفردي والجماعي، والتحلي بالمتعة والإقبال الإيجابي عند الانطلاق نحو أي نشاط من الأنشطة، على قاعدة الإدراك الجيد لفوائد ذلك النشاط، والمكاسب التي يتم تحقيقها من خلاله. وكذا إسهامه في إعداد التصورات والسيناريوهات والغايات بشكل واقعي وقابل للانجاز. عبر التحفيز على التفكير والإبداع. والمبادرات المحسوبة من حيث المكاسب والمخاطر، والقدرة على إعادة الاستثمار وتطوير المعارف والمهارات. وإدراك الأخطاء واعتبارها في صياغة التطور الشخصي والتخلص من التوتر ومن كل الضغوط التي توقع في مطبات الغش والتحيز والتضليل والكذب.

وهذا ينبغي بالمعرفة العلمية لقدرات ومستويات نمو الفرد، من لدن القيمين على التربية والتكوين خارج الصفوف المدرسية. الذين يتحملون مهام تقوية حوافز التعلم وعوامل النجاح في الحياة الشخصية للفرد وفي واقعه البيئي، على نهج الواقعية، واحترام إيقاعه في الاكتساب. وتدعيم استقلاليته، وتقوية تفكيره بالواجب من خلال أنشطة فردية وجماعية منتظمة تعمل على استرجاع المعلومات وتحقيق الأهداف، من أجل الوعي بالربط بين الوضعيات والمواقف والطموحات والنتائج المحصل عليها. والتحرر من التمثلات التي تعتبر الوقوع في الخطأ مأساة. قد تتحول لديه إلى وهم شخصي قد يسهم في تحولها إلى تصرفات تعيق شخصيته وتحول دون تمكينه.

أهمية الأنشطة في تقوية قدرات الفرد

ويتأكد حسب الدراسة العلمية المتخصصة في التربية والتكوين خارج الصفوف المدرسية على أن للأنشطة في هذه الفضاءات أدواراً قوية في تمكين الفرد من مهارات الولوج إلى الحياة الأفضل وتصنيعها، والإسهام في قيادتها من خلال تلك المصاحبة التربوية والمساندة النفسية والاجتماعية الحريضة على تحصينه ضد صعوبات التكيف، وحالات الاكتئاب وكافة الاضطرابات الشخصية. من خلال أنشطة تحرص على تسيير استثمار الفرد، لموارده وقواه الشخصية، في الانتصار على الصعوبات وتجاوز العوائق. بتركيز علمي وعملي على تنمية شعوره بقيمته الشخصية وتحديدتها والتنوع المستمر نحو إنمائها بقدرات واقعية بعيدة عن كل غرور أو تضليل.

إنها فضاءات تركز إلى تمكين الفرد من تقدير قيمته الشخصية بمنهج يعتمد على التدرج، ويمثل للواقع الإنمائي لديه. وعليه، فإن خدمات التربية والتكوين خارج الصفوف المدرسية، تعتبر حق من حقوق الإنسان، وشرطا من شروط بقاءه ونماءه وتحضره، وليست امتيازاً ولا شائناً ترفيهياً، أو عملاً تكميلياً أو ثانوياً، كما يدعي العديد من القيمين على السياسات العمومية الذين لم تتح لهم فرص المعاينة العلمية، لهوية هذه الخدمة العمومية الإنسانية، وإدراك المكانة النمائية لها، في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات، والمتمثلة في تمكين الفرد من التعرف على مميزاته واكتشاف هويته وجدارته، التي يحتاج إليها وما يعترضه من صعوبات في الولوج إلى الحياة والإسهام في قيادتها.

في ظل هذا التوجه الذي لم يتوقف الحوار بشأنه على المستويين الأكاديمي والعلمي، من قبل العديد من الفعاليات المعنية بالتمكين الإنساني. احتضن المقر المركزي للنقابة الوطنية للصحافة المغربية ورشة تفاعلية في تنظيم حلقة الوفاء لذاكرة "محمد الميحي" رائد التربية والتكوين خارج الصفوف المدرسية. "وفرع الجمعية المغربية لتربية الشبيبة" بسلا حول خدمة من أهم الخدمات العمومية التي يحتاج إليها الإنسان في تربيته وتكوينه، وهي خدمة التخييم التربوي التي تعاني عدة صعوبات تنظيمية وتربوية ولوجيستية، جراء تغييرها عن دوائر التفكير والتقرير المتخصصة والمختصة في شان التربية والتكوين بالمغرب.

داخل هذه الورشة التفاعلية استطاع المتفاعلون، تجاوز النقاش بشأن الترسنة القانونية، وتأهيل العنصر البشري والبرامج والمناهج المعتمدة في تكوين الموارد البشرية والمديرة لأنشطة التربية والتكوين داخل مراكز التخييم والاصطيف التربوي، وما يتعلق بالبنيات الأساسية لهذه المراكز. إلى الحديث عن الهوية والوظيفة والانتظارية، التي يمكن أن تسهم في هذه الخدمة في إطار جهود الدولة والجماعات الترابية والقطاع الخاص والحركة الجمعوية، من أجل التمكين الإنساني بواسطة مناهج وبرامج التربية والتكوين عامة، وخارج الصفوف الدراسية بالخصوص، وهو التحدي الذي وضعه المتفاعلون داخل هذه الورشة على عاتق الكيان الذي دعوا إلى إحداثه تحت اسم "المبادرة المدنية للنهوض بالتخييم التربوي".

هذه الخدمة العمومية التي يدل تاريخها الإنساني والوطني، على أنها من حيث الهوية خدمة للتربية والتمكين، وليست مجرد تسليية وملئ الفراغ، ومن حيث الوظيفة تعد عمل ممنهج ينشد بلورة الوعي الفردي والجماعي والتحفيز على الاجتهاد والابتكار، وتطوير الفكر والإبداع والتطوعية، في ظل قيم الحرية والإقدام على التفكير بالواجب وعلى رد الفعل المسؤول والاعتزاز بالانتماء

والتواجد الحضاري المشترك داخل المجتمع الإنساني المنصف، وإذا كانت هذه الوظائف تواجه عدة صعوبات مفتعلة من لدن الذين يشتغلون على تحويلها إلى مجرد مناسبات، لامتنع الانفعالات وتفرغ المتاعب المدرسية، والاستفادة بقسط من الراحة وهي توجهات تنم عن جهل القائلين بها، وبقيمة التخييم والاصطياف التربوي الذي لا يعني "العسكرة" ولا يقبل بتحويله إلى وسيلة تدجين؛ بل يعني العناية بتربية وتكوين الفرد الإنساني خارج صفوف الدراسة، والعمل خارج الأحضان الأسرية. وبخدمة نحتاج إليها منذ الطفولة الأولى، وحتى المراحل المتقدمة في السن، بصرف النظر عن النوع والسن والمنحدر الجغرافي والتعليم والوضع الصحي والحال السوسيو-ثقافي... الخ.

ذلك، لأن هذه الخدمة العمومية ضرورة حياتية وشرط نضوي لتمكين الإنسان، وفق التوجهات التي تخطط وتدبر سياسات التربية والتكوين وفق المقاربات التكاملية بين عطاءات المؤسسات، التي يحدتها المجتمع ويأتمنها على شؤونه العامة وخاصة الشأن التربوي الذي لا يقبل التجزئة أو التضيق، لأنه يتعلق بمصير الإنسان وبحقه في التمكين في مختلف مراحل العمرية .

فمركز التربية والتكوين وجوهرها، يرفض التبعية ويتطلع دائما إلى الفرد، ليكون فاعلا وليس منفعلا. فهو لا يقتنع بما يفعله له الآخرون ولكنه يطمح إلى التعلم الذاتي مدى الحياة.

وهذا يستدعي منا التفكير بتكاملية فاعلة لصياغة مقاربات للتربية والتكوين المعنية بالإنسان داخل الحياة اليومية الخاصة والجماعية، وكيف نستكشف الطاقات والاقدرات التي يملكها الفرد الإنساني، وتيسير سبل توظيفه لها من أجل الرقي الإنساني.

إن التربية والتكوين في المجتمع الحديث، لم تعد محتزنة في المادة الدراسية وما تتطلبه من مجهودات بيداعوجية، لنقلها إلى المتلقين؛ بل الغرض الأساسي المنشود لها، هو العناية بالمسار النهائي للفرد الإنساني، وتطوير خبراته وتيسير مكونات اتجاهاته وامتلاكه للمهارات المطلوبة لتصنيع الحياة بشكل متجدد، يدعم ويقوي بنيات المجتمع ومؤسساته ويمتد تماسكه الحضاري. وهذا يفرض الانتقال في الهياكل الحكومية المعنية بالإنسان وقسرها في بنيات جديدة، تستطيع الاستجابة لهذا التطلع. وهذا قبل القول بوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، ووزارة الشباب والرياضة.

وعلى أن نعمل على تأسيس وزارة للتربية والتكوين والتمكين الإنساني ووزارة تسأل عن إعداد الإنسان المفكر والمبدع والمنهج على قواعد الإنصاف التي لا تسمح للقطاع الخاص بالابتجار في

رسالتها، لأن التربية والتكوين حق من حقوق الإنسان وليست امتيازات تهان وتمتهن الكرامة الإنسانية بواسطتها. فكلما تم الاعتناء بالإنسان في الحاضر إلا وانعكس ذلك إيجاباً على الحضارة الإنسانية في المستقبل.

خلاصة

إن التربية والتكوين التي تركز على الميولات واستثمار الاستعدادات والمواهب والهوايات الشخصية. وتوظيفها في التحفيز على امتلاك المعرفة والإقبال المستمر على التعلم بكل صنفه، تسهم ولاشك في كافة المجالات الحياتية، بالاستيعاب المتجدد لرسالة الإنسان في الحياة، باعتبارها رسالة وجود وإبداع وإنتاج وقيادة، وليست مجرد بقاء وتبعية وخنوع وانتظارية، فرسالة الوجود هذه، لا يمكن إدراكها بكيفية جيدة، إلا من خلال المقاربة التكاملية للتربية والتكوين، التي يجد فيها الفرد الإنساني، سنداً له في كل المخططات الحياتية، التي يعبرها منذ انتقاله من الرحم البيولوجي إلى الرحم الاجتماعي. والتي تعني به من كافة النواحي البيو-عصبية والفسولوجية والنفسية والسوسيو-ثقافية والاقتصادية والبيئية. عبر التأطير المتخصص الذي يوظف المعارف والعلوم والتقنيات، من أجل التربية والتكوين على التمكين الإنساني. بغاية تحرير ملكات الفرد واستقلال شخصيته وقدرته على المشاركة وعلى امتلاك ثقافة التعارف والتضامن والمبادرة والروح الجماعية، وتقبل الاختلاف والإنصات وحل النزاعات بالحوار والقدرة على الفعل الإيجابي المتحضر، بالإضافة إلى ثقافة التشاور والثقة والإحساس الإيجابي بالانتماء إلى الجماعة. وامتلاكه للحس النقدي المتمثل في التعبير المتحضر عن الذات والقدرة على التمييز بين المواقف، وممارسة النقد البناء والرغبة في تطوير الأفكار والتصرفات الشخصية نحو الأفضل. وامتلاك القدرات والكفاءات المتمثلة في قوة التركيز المتوازن والانتباه الدقيق والتذكر الجيد. والتواصل الفعال مع الأشخاص والأفكار والإدراك السليم للقضايا والأحداث والظواهر. واحترام الجسد والحرص على تميته بشكل سليم، والتفكير بالمستقبل الفردي والجماعي بحزم ومسؤولية، في ظل صحة نفسية متوازنة انفعالياً وعاطفياً وحسياً وحركياً واجتماعياً.

إن التربية والتكوين التي تضمن الأمن والصحة والثقافة والإعلام والاقتصاد والصناعة والتجارة والفلاحة والبحر والمياه والغابات والشوارع والحدائق وكل الأماكن بالإضافة إلى الزمان من أجل تمكين الإنسان. وتوظيف طاقاته وقدراته لصناعة الحياة والإسهام في قيادتهما. فإذا كان

الاستثمار في هذه المجالات مهما من أجل هذه الغاية الإنسانية الحضارية، فانه يشترط وجود رؤية جديدة تركز على تكوين وتأهيل القيمين على هذه المجالات، وعلى قواعد المصاحبة الإنسانية بكل أبعادها النفسية والاجتماعية والتربوية والمادية، حيث لا يمكن تصور من يقوم على التربية والتكوين، أو على الأمن والقضاء أو على الإدارة أو الاقتصاد أو العمل الجماعي، أو التجارة أو الصناعة أو الفلاحة أو المياه أو الإعلام أو الفنون أو الثقافة، لا يمتلك ثقافة التواصل والمصاحبة الإنسانية، وهي ثقافة تعاني من نقصانها في المغرب جراء عوامل تاريخية وسوسيو- ثقافية، تحول دون تقوية مقومات التماسك لدى الفرد ونمو شخصيته وإرغامه على الركون إلى أساليب التحايل على العيش ويقلص لديه طموحات التواجد الفعال والإنتاج المتحضر.

فهل يمكن للمجلس الأعلى للتربية والتكوين، التفضل بفتح نقاش علمي في موضوع التربية والتكوين خارج الصفوف الدراسية؟ هل نستطيع فتح نقاش داخل الجامعات والمعاهد العليا وأن تكون "وحدة التمكين الإنساني" وحدة أساسية نظريا وتقنيا وعمليا طيلة فترة التكوين؟ هل يستطيع الإعلام إبداع برامج تركز على التمكين والمصاحبة الإنسانية؟ هل يمكن الحديث على إمكانية تكوين القيمين على الإدارة والمال والأعمال والاقتصاد والتجارة والصناعة والبحر والدفاع والأمن والقضاء على قواعد المصاحبة الإنسانية بكل أبعادها الحقوقية والسوسيو- تنمية؟

إن المغرب في حاجة لكل إمكاناته الإنسانية كشرط للانتقال السوسيو- حضاري وتأمين التواجد الفعال في أحضان العالم الجديد الذي لا يأبه بمن لا يعانقه شوق التواجد ويحرص على البقاء في ظل التبعية والخنوع والانتظارية.

ان العطاء التربوي والتكويني خارج الصفوف الدراسية الذي يأتي بعطائه عبر أنشطة التخميم والاصطياف التربوي والعمل التطوعي، ومسرح الهواة وموسيقى الهواة والفن التشكيلي، و نوادي العلوم والاختراعات، والنشاط الرياضي ومحو الأمية وتعليم الكبار، والخدمة الكشفية، وأنشطة التثقيف الأسري والصحي والعمالي، حيث يجد المرء الكثير من المجالات المعنوية بشخصه والحرصة على تمكينه المعرفي والعلمي والصحي والسوسيو- ثقافي. وملتقيات القراءة والإبداع والتشاقف بين الأفراد بالاستثمار الجيد للزمان المتاح للأفراد بمختلف صنوفهم - أطفال ناشئين شباب كهول كبار السن من المسنين- ومن كل الفئات الخاصة وهي أمور يعاني من غيابها الإنسان المغربي إذا استثنت تلك الخدمات الجمعوية المجادة التي تدرك هذه المسؤولية الحضارية وكذا وزارة الشباب

والرياضة ووزارة الثقافة وإدارة التعاون الوطني التي يدرك الفاعلون فيها على سير الاحتراف للأدوار القيمين عليها، لكن التفكير السائد في السياسات المعتمدة في المغرب لا يأبه بهذه الأمور كما يتبين من قوانين الميزانيات العامة التي تفضل بناء السجون وتأمين نزلائها من حيث الإطعام المجاني والحراسة والمساعدة على ما يسمى بإعادة الإدماج حيث يخصص لقطاع السجون وقطاعات الأمن والقوات المساعدة آلاف المناصب سنوياً، في حين يتم التفضل على القطاعات التي من المفروض أن تؤطر خدمات التربية والتكوين خارج الصفوف الدراسية، سوى القليل من المناصب المالية للتوظيف القليل ومن الإمكانيات للتسيير في ظل هذه المعطيات يبدو أن المبادرة المدنية للنهوض بالتخيم التربوي" التي تحتضنها حلقة الوفاء لذاكرة رائد التربية والتكوين خارج الصفوف الدراسية -الأستاذ محمد الميحي- رحمه الله، تتحمل العديد من المسؤوليات بشأن التربية والتكوين خارج الصفوف الدراسية لتحسين الإنسان من الهدر والضياع والتهميش. ويحصنه ضد الاضطراب النفسي والتسرب الدراسي والعطالة المهنية والفقر الثقافي، وتؤمن له التوافق النفسي والسلامة الصحية وتحفزه على التماسك الإنساني وتنمي لديه قدرات التواصل والتفاعل والحس النقدي، وتقوي لديه عدم تقبل كل ما تقدمه له وسائل الدعاية، وترتقي بذوقه الفني ورصيده الثقافي. عبر البرامج والخدمات المباشرة أو من خلال وسائط التربية والتكوين عن بعد.

وعليه فالمطلوب من المبادرة المدنية للنهوض بالتربية والتكوين خارج الصفوف الدراسية، أن تعمق الحوارات في هذه الأمور من خلال البحث الأكاديمي، وتوسيع الحوار مع الفعاليات الرسمية والمدنية المعنية بالتمكين الإنساني بغاية الإسهام في إنتاج الإنسان القوي على التواجد بفكره العلمي ودكائه الفكري والإبداعي المتجدد والتواق إلى التحرر من براثن البقاء على هوامش الحضارة وقيود التبعية والخنوع والانتظارية.

- ملاحظة : على كل من يشارك في التخيم والاصطياف التربوي أن يدرك بأن هذه الخدمات العمومية هي عطاء من عطاءات التربية والتكوين خارج الصفوف الدراسية. ولذلك فهي حق لكل إنسان وليست مجرد امتيازات ترفهية لا يستفيد منها إلا من له قدرة على الدفع المادي.

- قائمة مراجع

1. الدور التربوي للمخيمات الصيفية بمحافظات غزة وسبل تطويره من وجهة نظر القائمين عليها والمشاركين فيها. أكرم عبد القادر محمد منصور. الجامعة الإسلامية - غزة عمادة الدراسات العليا كلية التربية قسم أصول التربية، 2014.
2. المخيم الصيفي ضرورة أكثر منه ترفاً. مجلة لها - ديانا حدارة. يوليو 2016.
3. دور المخيمات التربوية منذ النشأة في غرس القيم . حريدة الاتحاد الاشتراكي. المغرب 2010.
4. التخميم هواية البعد عن الصخب والانفصال عن الحياة الحديثة. جريدة الغد. عمان الخميس 25 أكتوبر 2007.
5. اصطيفاء المغاربة. وجهات على قدر مصروف الجيب. جريدة العربي. المغرب 19 غشت 2014.
6. Making Summer Count :How Summer Programs Can Boost Children's Learning "jennifer sloan mcombs . catherine h. augustine heather l. schwartz . susan j. bodilly . brian mcinnis dahlia s.lichter . amanda brown cross 2011
7. T R Wh Ten Reasons Wh y C Camp is Important for Child Development. Barry A. Garst, Ph.D. Director of Research Application bgarst@ACAcamps.org. 2014
8. The benefits of a camp designed for children with epilepsy: Evaluating adaptive behaviors over 3 years q Sandra Cushner-Weinstein, Madison Berl, Jay A. Salpekar, Jami L. Johnson, Phillip L. Pearl, Joan A. Conry, Marian Kolodgie, Audrey Scully, William D. Gaillard, Steven L. Weinstein. October 2006.
9. Emotional and Social Developmental Benefits of Summer Camp for Children: Examining the relationship between social capital and emotional intelligence. by Amanda Lee Carruthers
10. Waterloo, Ontario, Canada, 2013
11. The Effects of a Summer Camp Experience on Factors of Resilience in At-Risk Youth. MaryBeth Merryman, Ph.D., OTR/L; Amanda Mezei, B.S., OTS; Jill A. Bush, Ph.D.; Marcie Weinstein, Ph.D., OT/L, FAOT 2012.